

العقيدة - العقيدة من مفهوم القران والسنة - الدرس (٢٧-٤٠) : مستلزمات التوحيد -٧- التوبة
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٤-٠٢-٢٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين .

من لوازم سلامة العقيدة أن تكون تائباً إلى الله :

أيها الأخوة الكرام، مع الدرس السابع والعشرين من دروس العقيدة الإسلامية، ولعلكم لاحظتم أن مفهومات العقيدة الصحيحة: أنه ما ينبغي أن تعتقد، وما ينبغي أن تقول، وليس علم العقيدة هو ما ينبغي أن تعتقد، علم العقيدة ما ينبغي أن تعتقد، وما ينبغي أن تقول، فمن لوازم سلامة العقيدة: أن تكون تائباً إلى الله عز وجل .



الحقيقة: أن التوبة حبل النجاة، التوبة صمام الأمان، التوبة سبيل الخلاص، التوبة هي علاج الضعف البشري، الإنسان ركب من شهوة وعقل، إن غلبت عليه شهوته، فالعلاج هو التوبة، تصوروا أن ديناً ليس فيه توبة، ما الذي يحصل؟ بأقل ذنب يفجر الإنسان، ما مادام باب التوبة مغلقاً، فلا بد من متابعة المعصية .

حينما يقول الله عز وجل:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾

[سورة الزمر الآية: ٥٣]

معنى ذلك: أن التوبة صمام الأمان، والتوبة حبل النجاة، أو قارب النجاة .

أيها الأخوة الكرام، لكن الله عز وجل يقول:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾

[سورة التحريم الآية: ٨]

أجمل ما في هذه الآية: أن التوبة النصوح تتصح بها نفسك، وأعظم نصيحة تقدمها إلى نفسك: أن تتوب من الذنوب قبل فوات الأوان .

مراحل التوبة :

١- علم وحال :



التوبة في الحقيقة: علم وحال وعمل، فيها جانب معرفي، وفيها جانب سلوكي، وفيها جانب نفسي، فأنت مثلاً: لا يمكن أن تعالج نفسك من ضغط مرتفع، إلا إذا علمت أن معك ضغطاً مرتفعاً، لا يمكن أن تتوب من ذنب، لا تعرف أنه ذنب، ربما تتوهمه عملاً صالحاً، إذاً: تبدأ التوبة من طلب العلم، ما لم تطلب العلم فلن تتوب، لأن

الغارق في المعاصي إن سألته: ما هذه المعاصي؟ يقول: أيّ معاص؟ إنسان تاب الله عليه، وكان في حقل لا يتناسب مع الدين، التقى بإنسان من أرباب هذا الحقل، قال له: لماذا تبت؟ وماذا فعلت حتى تتوب؟ .

فالتوبة لا تبدأ إلا من معرفة الله، ومعرفة منهج الله، فقبل أن تطلب العلم لا تطمع أن تتوب، لأن الأمور عندك مختلطة، القسم الحرام تظنه حلالاً، والفكرة التي تتناقض مع وحي الله، تظنها من الدين .

هناك قصص كثيرة جداً، تشير إلى أن الإنسان إن لم يطلب العلم، يتوهم أن أخطائه أشياء مألوفة، يفعلها كل الناس، وليس فيها معصية، إذاً: التوبة علم، علم يتبعه حال، التوبة ندم. قال عليه الصلاة والسلام:

((التوبة الندم))

والحقيقة: أن في هذا الحديث ملمحاً رائعاً، ذكر النبي عليه الصلاة والسلام أخطر مراحل التوبة، قال شارحو الحديث: الندم يستوجب علماً، ويعقبه عمل، فكأن ضربة النبي عليه الصلاة والسلام كما يقال: ضربة معلم، التوبة ندم؛ يسبقه علم، ويتبعه عمل .

الآن كي أوضح هذه الحقيقة: أنت أمام إنسان في بستان، رأى أفعى، ما الذي يحصل؟ أول شيء بخلق بها، فإذا هي أفعى، فاضطرب الحال، فولى هارباً، أو قتلها، وهذا قانون، علاقة الإنسان بالمحيط الخارجي؛ إدراك، انفعال، سلوك، ولا يمكن أن يكون الإدراك من دون انفعال، ولا يمكن أن يكون الانفعال من دون سلوك .



تعرف أنك متلبس بمعصية كبيرة، تعرف أن هذه المعصية حجاب بينك وبين الله، تعرف أن هذه المعصية قد تقودك إلى الهلاك، تندم أشد الندم، تتألم، تضطرب، تخاف، تعقد العزم على أن تفلح عن هذا الذنب، وألاً تعود إليه أبداً، وأن تصلح ما مضى .



المرحلة الثالثة التي هي عمل؛ فيها عزيمة، وفيها إقلاع، وفيها إصلاح، الإقلاع فوراً ، والعزيمة مستقبلاً، والإصلاح إذا كان موضوع التوبة متعلقاً بحق من حقوق البشر، والآية التي عدها العلماء أرجى آية في القرآن الكريم:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾

[سورة الزمر الآية: ٥٣]

أيها الأخوة الكرام، أحياناً تختلط الأوراق، الله عز وجل غفور رحيم، وقد يغيب عن هذا الذي يقول: إن الله غفور رحيم؛ أنه شديد العقاب، وأرجى آية في القرآن الكريم لو تابعتها:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَتَّيَبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلَمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾

[سورة الزمر الآية: ٥٣-٥٥]

أرجى آية في القرآن الكريم في نهايتها: إن لم تنتب، فالعذاب آت لا محالة .

مرة قال طبيب لمريض كلمة رائعة، فقال له: معك مشكلة في القلب، إن تلافيتها فهي صغيرة، وإن أهملتها فهي كبيرة، كلام جميل، والذنب أحياناً: إن أردت أن تتوب منه، فالقضية سهلة جداً، وإن أهملته، فهذا الذنب قد ينقلب إلى عادة، ومن أصعب الأشياء: أن يتخلى الإنسان عن عاداته، أنت تبدأ بخاطرة، بفكرة، بهم، بإرادة، بفعل،



بعادة، هذا الذي قاله الله عز وجل:

﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾

[سورة الحديد الآية: ١٦]

من هنا: أدق معنى نحتاجه في هذا الدرس قوله تعالى:

﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾

[سورة النساء الآية: ١٧]

لا تجعل مسافة طويلة بين ارتكاب الذنب -لا سمح الله- وبين التوبة منه، هذه المسافة الطويلة تجعلك تألف الذنب، وهذه المسافة الطويلة تجعلك تظن أنه ليس بذنوب، لأنك ألفتة .

حدثني أخ ذهب إلى بلاد بعيدة في الغرب، قال لي: المعاصي والآثام التي نعرفها في بلادنا، أنه معاص وآثام كبيرة جداً، هناك هيئة جداً على الناس لكثرة ألفتها .

في اللغة أداة توكيد، قال تعالى:

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾

[سورة الزمر الآية: ٥٣]

فما من ذنب لا يغفر، ولكن هناك أسباب للمغفرة، القصة المألوفة: أن الذي قتل تسعة وتسعين رجلاً، ثم جاء ليتوب، سأل راهباً قليل العلم بحقائق النفس، وبأسماء الله، فقال له: هل لي من توبة؟ فقال له: لا، فكمّل به المئة، أما الثاني فقال له: لك توبة، على أن تغادر هذه الأرض .

الآن سأجيب عن أخطر سؤال يطرح، أنا هذا السؤال تواتر كثيراً علي، أنه يُقترب ذنب، ثم يتوب الإنسان منه، ثم يعود، ثم يتوب، ثم يعود، ثم يتوب، يقول لي: إلى متى؟ لأنك ما دمت تعيش في أجواء تدعوك إلى المعصية، فلا بد من أن تعصي، لأنك تغافلت عن قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

[سورة التوبة الآية: ١١٩]

وتغافلت عن قوله تعالى:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾

[سورة الكهف الآية: ٢٨]

ابحث عن البيئة التي أنت فيها .



أنا أقول لكم دائماً أيها الأخوة: عش مع المترفين تتمنّ الترف، عش مع الساقطين تشته السقوط، عش مع أهل الشهوات ترَ أن الشهوات شيء ممتع جداً، عش مع طلاب العلم ترَ أن طلاب العلم حققوا نجاحاً كبيراً، قل لي من تصاحب، أقل لك: من أنت؟ لذلك: موضوع الحمية الاجتماعية، الإسلام ركز عليه كثيراً، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾

[سورة الممتحنة الآية: ١٣]

﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاِنَّهُ مِنْهُمْ﴾

[سورة المائدة الآية: ٥١]

أنا لا أرى طالب علم تفوق إلا مع حمية اجتماعية، أما أن يصاحب أي إنسان، فأى إنسان يتكلم كما يشتهي، قد ينطق بالمعصية، قد ينطق بالشهوات، قد يزين لك الشهوات، وهذا الذي يزين لك المعصية، يقوم بدور الشيطان تماماً، قال تعالى:

﴿فَزَيْنٌ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالُهُمْ﴾

[سورة النحل الآية: ٦٣]

يمكن أن نلخص موضوع التوبة: أنه قبل كل شيء طلب علم، فما لم تطلب العلم، فلا تستطيع أن تتوب .

من عشر سنوات تقريباً، استوقفتني بجريدة يومية خبير، أن سائق سيارة استوقفته امرأة، فلما سألتها: إلى أين ذاهبة؟ قالت له: إلى حيث تريد، ففهم، وعدّ هذه غنيمةً كبيرة، وبعد أن قضى ما يتمناه منها، أعطته طرفين؛ الطرف الأول فيه خمسة آلاف دولار، والطرف الثاني فيه رسالة مكتوب فيها: مرحباً بك في نادي الإيدز، والمبلغ مزور، فأودع في السجن، السجن والرسالة جعلته في نادي الإيدز .

تعليقي على هذه القصة: أن هذا الإنسان لو حضر مجلس علم ما كان بهذه الحالة، ولركل هذه المرأة بقدمه حينما قالت له: خذني حيث تريد .

أول خطبة خطبتها في هذا المسجد، أذكر في عام أربعة وسبعين، استوقفتني أخ كريم ، وقال لي وهو يبكي، عمره في الستين، بكاؤه لفت نظري، قلت: خيراً؟ قال: زوجتي تخونني من سنتين، ولي منها خمسة أولاد، قلت له: مع من؟ قال: مع الجار، قلت له: كيف عرفها الجار؟ قال: أنا السبب، كنت مرة في سهرة أنا وإياها، فجاء جارنا، فدعوتها أن تكون معنا، قال لها: إنه مثل أخيك، فجلست، فقلت له: لو أنك حضرت درس علم واحداً، لما دعوتها إلى أن تجلس معك، فلذلك: الاختلاط، والغفلة، والبعد الطويل عن البيت، أسباب للانحراف، أنت حينما تطلب العلم تطلب السلامة، تطلب السعادة، الحمد لله، قلما تجد مؤمناً طالب علم وقع في ورطة كبيرة . إذاً: أن يطلب العلم، وأن يندم، وإذا ما ندم، معنى ذلك: أن طلبه للعلم ليس صحيحاً، حينما ترى ثعباناً مخيفاً ولا تخاف منه، فهناك خلل في إدراكك، ومشكلة كبيرة، المؤمن يخاف من الله .

لم يقع الناس في الحرام؟ :

يا أيها الأخوة الكرام، أنا متأكد أن الحلال بين والحرام بين، ولكن السؤال: لم يقع الناس في الحرام؟ لأن صحبتهم سيئة، بيئتهم فاسدة، من حولهم ليسوا على ما ينبغي، لذلك في آخر الزمان قال تعالى:

﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَاقًا﴾

[سورة الكهف الآية: ١٦]



العلماء يقولون: من الوسيلة التي أمرنا بها صحبة الصالحين، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾

[سورة المائدة الآية: ٣٥]

لا تسوف في التوبة :

قال تعالى:

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَ
وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لِمَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

[سورة نوح الآية: ١٠-١٣]

كلما وقرت ربك أكثر، خفت أن تعصيه أكثر، وكأن هناك علاقة بين الخشية والتوبة، والله أعلم هناك مداخل للشيطان لا تعد ولا تحصى، الإنسان إذا استمر في الذنب، يستمرىء متابعة الذنب، وقعت، غداً تتوب، ومن يدري أنك تصل إلى الغد؟ معظم الناس يقول لك: أنا الآن شاب، غداً حينما أتقدم في السن، أتوب إلى الله، وأحج بيت الله الحرام، وأتوب، كم من إنسان لم يستطع أن يصل إلى ما يسمو إليه؟ الموت يأتي بغتة، والقلب صندوق العمل، من أخطر المشاعر أو من أخطر الأوهام: أن تتوهم أن الوقت طويل، الوقت يمضي سريعاً .
أنا حينما كنت أذكر لكم كثيراً، رجلاً جلست معه ساعة، حدثني فيها عن عشرين سنة قادمة عن خطئه، وفي المساء قرأت نعيه على الجدران .

حينما تعلم أن الله سبحانه وتعالى يحب التائبين، حينما تعلم أن الله سبحانه وتعالى يريد أن يتوب علينا، حينما تعلم أن الله سبحانه وتعالى أشد فرحاً بتوبة عبده من الضال الواجد، والعقيم الوالد، والظمان الوارد، لا شك أن التوبة تغدو إحدى أهم وسائل النجاة من عذاب الله عز وجل .

التوبة تجلب الراحة:

سبحانك يا رب، الإنسان إذا تاب، من كرم الله عز وجل: أنه يلقي في روعه أنه قبل توبته، يشعر براحة كبيرة جداً .

أيها الأخوة الكرام، إن الراحة التي يشعر بها التائبون من الصعب أن توصف، والله كأن جبلاً أزيحت عن صدره، كأن كابوساً تحرر منه، كأن ضيقاً خرج منه إلى فضاء الله عز وجل، فالتائب يكون الله معه .

أنا أقول دائماً: الذي يشدك إلى الدين، ليس لأن الدين قدم لك تصوراً صحيحاً للكون والحياة والإنسان، الفكر في الدين رائع، والدين يعطيك تصوراً متناسباً منسجماً، فكل شيء في الدين له تفسير، أما لو جلست مع أهل الدنيا فيوجد تفوق بجانب، لكن يوجد خلل بجانب آخر، ويوجد أحياناً تناقض فيما يتصورونه، لكن منهج الله عز وجل، والعقيدة التي تستشف من كتاب الله وسنة

نبيه، تؤكد أن هناك تناسقاً بين مخلوقات الله، أما من دون إيمان بالله ينشأ تناقض، وتتفجر أسئلة ليس لها جواب .

الشيء الثاني: أن الله سبحانه وتعالى أشد فرحاً بتوبة عبده من الضال الواجد، أحياناً عندك وصل لخمسمئة ألف ليرة، وقال لك المدين: أين الوصل حتى أعطيك المبلغ؟ فإن لم تأت بالوصل، فلا شيء لك عندي، حينما تعثر عليه، يكون فرحك أشد من الضال الواجد، والعقيم الوالد، والظمان الوارد .

كتوجيه: أنت حينما -لا سمح الله ولا قدر- تقع في الذنب مرة ثانية، تشعر أن التوبة أصعب، لكن ما الذي يسهلها؟ أن تعمل عملاً صالحاً يرمم هذا الذنب، لقوله تعالى:

﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾

[سورة هود الآية: ١١٤]

وَعَنْ مُعَاذٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ لَهُ:

((يَا مُعَاذُ، أَتَبِعِ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقِ حَسَنٍ))

فلذلك: إذا وقع الإنسان في الذنب مرة ثانية، فعليه أن يضيف إلى التوبة الصدقة، فإن كان لا يملك مالاً، فعليه أن يضيف إلى التوبة الصيام، لا بد من شيء يرمم هذه السقطة الثانية.

علامات العزم على ترك الذنب :



أيها الأخوة الكرام، العزيمة الصادقة، أو العزم على ترك الذنب له علامات، من هذه العلامات:

الشيء الأول: أن يكون المرء بعد التوبة خيراً مما كان عليه قبلها، أي أن يجد هناك فرقاً واضحاً جداً بين حاله بعد التوبة وحاله قبل التوبة .

الشيء الثاني: أن يبقى الخوف مصاحباً للإنسان، الخوف علامة تعظيم الله عز وجل.

وقد قال عليه الصلاة والسلام:

((أشدكم لله خشية أنا))

وقال عليه الصلاة والسلام:

((رأس الحكمة مخافة الله))

فالخوف يصاحب التائب، لعل الله قبله، أو لعل في التوبة خلاً، يدعو إلى عدم قبوله، فهذا القلق قلق مقدس .

الشيء الثالث: أن يظهر أثر هذا العزم بالتواضع بين المؤمنين والانكسار والخشوع . أنا حينما أقول: تواضع، انكسار، خشوع، أعني به بين المؤمنين، لأن المؤمنين يقدرّون هذه المشاعر، بينما عند أهل الدنيا ينبغي أن تظهر قوة، وأن تظهر عزة . ورد هذا من قول النبي عليه الصلاة والسلام، حينما وجد صحابياً كريماً، يتبختر في مشيته قبيل المعركة، فقال عليه الصلاة والسلام:

((إن هذه المشية يكرهها الله ورسوله إلا في هذا الموطن))

إذا كان هناك ذنوب تعلق بها حقوق العباد، فهذه الذنوب لا تغفر إلا أن تؤدى الحقوق ، وأكبر وهم يتوهمه المسلمون: أنهم إذا حجوا بيت الله الحرام، أو جاء رمضان وصاموه، وقاموا ليله إيماناً واحتساباً، تغفر لهم كل الذنوب، نقول: تغفر لهم كل الذنوب التي كانت بين العبد وربه، أما التي بين العباد: فهذه لا تغفر إلا بالأداء أو المسامحة .

كن في مجتمع المؤمنين ولا تكن في غيره :

حينما قال الله عز وجل:

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي
أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا
مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ
أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا
قَالُوا لَكَ مَاؤَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[سورة النساء الآية: 97]

هذه البيئة، فإذا كان الإنسان في أرض،
أو كان في مجتمع، أو كان في بيئة،

حالت بينه وبين عبادة الله، فينبغي أن يغادر، فإن لم يغادر، فأولئك ماؤاهم جهنم وساءت مصيراً،
إذاً: لعل في التوبة خلاً، ولعل أخطر شيء في التوبة: أن تكون بين المؤمنين، فمجتمع الإيمان
يعينك على الطاعة، بينما مجتمع آخر قد يدعوك إلى الطاعة .



من آثار الصحبة الفاسدة :

شارب خمر ذهب إلى بيت الله الحرام، وتاب توبةً نصوحًا، وعاد إلى بلده، فتابع السهر مع أصدقائه الشاربين، بعد أسبوعين أو ثلاثة، قال له أحدهم: اشرب، قال: أنا تبت إلى الله، وحجبت بيت الله الحرام، قال له: كم كلفتك الحجة؟ قال له: مئة ألف، قال: هذه مئة ألف، فشرب . هناك إنسان آخر عنده مطعم يبيع الخمر، أيضاً حج بيت الله الحرام، وتاب توبة نصوحًا، فلما عاد، وجد الغلة إلى العشر، أصدقاؤه المتقلتون عنفوه على توبته، فعاد إلى بيع الخمر، وبعد اثني عشر يوماً توفاه الله، توفاه الله وهو يبيع الخمر، فالصحبة الفاسدة تحول بينك وبين التوبة .



أيها الإخوة، أمّا حديث أبي هريرة قال:
(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا
لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ،
فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ))

[أخرجه مسلم في الصحيح]

فهذا الحديث إذا أخذ على ظاهره فهناك مشكلة كبيرة، كأن الحديث يشير إلى أن المؤمن من صفاته أنه يشعر بذنبه،

وذنبه كالجبل الجاثم على صدره، وذنب المنافق كالذباب، لو لم تُذنبوا؛ أي إن لم تشعروا بذنوبكم لذهب الله بكم، ففي حالة موت القلب لا يشعر الإنسان بالذنب، وعلامة صحة الإنسان وحياة القلب أنه يشعر بذنبه .

خاتمة القول :

أيها الأخوة الكرام، لا شك أن موضوع التوبة عولج بشكل مفصل جداً في دروس كثيرة، وفي خطب، وفي دروس مدارج السالكين، لكن هنا يقتضي درس العقيدة: أن نؤكد أن العقيدة الصحيحة ليست فيما ينبغي أن تعتقد، بل يضاف إلى ذلك فيما ينبغي أن تكون، فالذي لا يتوب، ففي عقيدته خلل، والذي لا يراقب نفسه، في عقيدته خلل .

والحمد لله رب العالمين